مجلة الدراسات اللغوية والأدبية
SUST Journal of Linguistic and Literay Studies
Available at:
http://scientific-journal.sustech.edu/

التَّحولات البنيويَّة في ألفاظ الحديث الشَّريف
دراسة صرفية صوتية في صحيح الإمام البخاري

د. الشفة حسين بابكر الضو[1]- جامعة النيل الأزرق- كلية التَّربية محمد علي أحمد عمر[2] - جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا- كلية اللغات.

المستخلص:

اهتمت هذه الورقة بدراسة بعض الجوانب الصوتية في البنية الصرفية للكلمة و التي تؤدي إلى التحول عن الأصل، وقد اقتصرت هذه الدراسة على تناول ظاهرتي(الإعلال والإدغام) وتطبيقهما في الحديث الشريف؛ وذلك بهدف معرفة الأصل والكشف عن سبب العدول عنه،ومن نتائج هذه الدراسة أن التجانس الصوتي يحدث بالتحول عن الأصل في البنية الصرفية تحاشياً للثقل الناتج عن التطابق أو التقارب في المخارج. كما يحدث كذلك العدول عن الأصل عند تجاور بعض الأحرف المتنافرة في صفاتها في الكلمة، فطلباً للخفة يلجأ العربي إلى هذه الظواهر الصوتية.

الكلمات المفتاحية، الأصل ، التحول عن الأصل ، الاستثقال .

Abstract

This Study dealt with some vocal aspects in the morphological structure of the word that leads to the shifting from the original. The study was limited to the phenomena of (assimilation and substitution) and their application in the holy Hadith for identifying the original and discovering the reason to abandon it.

The results have shown that vocal homogeneity is by the shifting from the original in the morphological structure that to avoid heaviness which, results from the congruence or convergence in the articulators. In addition, abandoning the original is when the adjoining of some discordant letters in their characteristics in the word, for the lightness, the Arab resorts to these vocal phenomena.

Keywords:original ، shifting formthe original ،heaviness

المقدمة:

تتعرض بعض المفردات العربية للتحول عن الأصل، أي تحول في البنية الأصلية بالحذف، أو الزيادة، أو القلب، أو الاختلاف في ترتيب حروفها(القلب المكاني)، هذه الجوانب كلها يكشف عنها علم الصَّرف، الذي يدرس التغيير في بنية الكلمة لضروب من المعاني، كما يدرس التغييرات التي تتعلق بعلاقات الأصوات داخل البنية مع بعضها البعض دون أن تدل على معانٍ جديدة، وهذا ما تتناوله هذه الدِّراسة، حيث يتمثل في التغيرات الطارئة التي تحدث في بنية الكلمة، فتحولها من البناء الأصل إلى بناء آخر تتطلبه الأحوال الطارئة، كالإعلال والإبدال والحذف والإدغام، وغيرها

وهي مظاهر لتحول عن الأصل لغرض التخفيف، إذ أحياناً يتم العدول عن الأصل بحذف حركة، أو صوت، أو تغيير في حركة، أو إضافة صوت، أو إبدال صوت بآخر.

يعرَّف الأصل عند الصَّرفيين بأنَّه:" البناء الذي ينبغي للكلمة أن تأتي عليه طبقاً لقواعد اشتقاق الأبنية وصوغها في العربية، ولموضع الأصول والزوائد فيها،فإن خالفت الكلمة ذلك الأصل فإن لهذه المخالفة أسباباً مختلفة وصوراً متنوعة"(ابن

جني1427هـ/2007م،ج1،ص319-320) فمثلاً إذا قلت: (استقام)، لم تستطع أن تتبين التغيير الذي حدث في هذه الكلمة إلا إذا رددتها إلى أصلها المفترض أن تجيء عليه وهو (استفعل)، أي:(استقوم) من قام- يقوم، ومن ثم فإن التغيير الذي حدث حتى آلت الكلمة إلى(استقام) هو قلب الواو ألفاً ...وهكذا.

وعليه فإن فكرة التَّحول عن الأصل لها أهميتها في الدِّراسات الصَّرفية؛ إذ تتمثل فائدته في أنَّه: " معيار اقتصادي ترد إليه الكلمة وتقاس به إذا تجافى بها الاستعمال عن مطابقته بما أصابها من تغيير أو تأثير كالإعلال والإبدال والقلب والنقل والحذف والزيادة...الخ"(عبد الحميد السيِّد، 2010م،ص82).

أسباب التَّحول عن الأصل:بحث الصرفيون القدامى عن أسباب التحول عن الأصل في أبنية الكلم في اللغة العربية، فوجدوا أن معظم هذه الأسباب تتمثل في أمور تتعلق بالأصوات التي تتشكل منها بنية الكلمة، مما يستوجب تخفيف هذه البنية بحذف صوت، أو إدغام صوت في آخر، أو حتى إبدال صوت بآخر، كما أنهم ذكروا أسباباً أخرى لا تتعلق بالأصوات التي تتشكل منها الكلمة.

وهذه الدِّراسة تهتم بالجانب الذي يتعلق بالأصوات، ومعروف أن الأصوات حين تتجاور داخل الكلام يؤثر بعضها في بعض وفق قوانين صوتية، فإذا حدث أن تجاورت بعض الأحرف المتنافرة في صفاتها في كلمة، فإن اللغة تميل إلى العدول عن هذا الأصل، فراراً من الثقل الحادث بسبب تلك الأصوات المتنافرة في الكلمة. وتتمثل الأسباب الصوتية في الآتي: **1- التَّعذر 2- الاستثقال 3- المجانسة .**

وبما أن الاستثقال يعدُّ منأهم الأسباب التي يُعدل لأجلها عن الأصل، ستهتم الدِّراسة بهذا الجانب من التغيرات الصوتية، فالعربي بطبعه يفرُّ من الثِّقل إلى الخفة في الكلام، فمتى ما وجدوا إليها منفذاً سلكوه، وإن أدى ذلك إلى عدولهم عن القياس أو الاطراد؛ لأنَّ الاستثقال فيه مشقة وبذل للجهد عند النطق بالأصوات، ولكي يقلل هذا الجهد يلجأ إلى ظواهر لغوية تؤثر في الأصوات المنطوقة، وتقلل من الجهد المبذول للنطق بها، وهذه الأصوات تتفاوت في درجة ثقلها:"فمنها ما يكون مستثقلاً بدرجة كبيرة توجب التحول عنه وجوباً لازماً، ومنها ما يكون استثقاله محتملاً، وهذه يكون التحول عنها جائزاً غير واجب" و(لطيفة النجار،ص109). و بالرغم من تنوع صور الاستثقال إلا أنها ترد على أوضاع محددة منها:

أ/ التطابق أو التقارب في المخرج: يحدث التطابق في المخرج عندما ينطق بالصوت الواحد مرتين متتاليتين، وهذا يؤدي إلى الرجوع إلى نفس المخرج مرة ثانية، بمعنى تكرر عملية النطق بالصوت، وهذا منتهى الاستثقال،" حيث أن على اللسان كلفة شديدة في الرجوع إلى المخرج بعد انتقاله عنه"(الرضي،1975،ج3،ص38)، وتوالي الأمثال مكروه عند العرب. أما التقارب في المخرج فيحدث عندما ينطق المتكلم بأصوات متقاربة المخارج، وفي هذا تكلف وجهد واضح، بعودة اللسان إلى موضع مقارب للموضع الذي فارقه؛ وبهذا يعدلون عن الأصل الذي تتقارب فيه مخارج الأصوات.

ب/ الاختلاف في صفات الأصوات: تتمثل صفات الأصوات- كما ذكر العلماء- من أمثال سيبويه وابن جني والرضي في: الجهر والهمس والإطباق والانفتاح والشِّدة والرخاوة..."(سيبويه،1420هـ/1995م،ج4، ص436، والرضي،ج3،ص250).

وللثقل الناتج عن هذا التقارب يعمدون إلى العدول عن الأصل المستثقل إلى ما هو أخف وأسهل بتغيير أحد الصوتين ليتحقق التجانس الصوتي، مثل إبدال تاء الافتعال لالاً إذا كان فاء الفعل ذالاً أو زايا .

من الظواهر الصوتية التي ساعدت على خفة الكلمات وسهولة النطق بها:

1/ ظاهرة الإعلال:

مفهوم الإعلال: "هو تغيير حرف العلة للتخفيف بقلبه، أو إسكانه أو حذفه"(الحملاوي،ص200).

بمعنى أن التغيير يعترى أحد أحرف العلة الثلاثة:(الألف والواو والياء)ومعها(الهمزة)، كأن نقول مثلا : إن(باع) أصلها:(بيع) فقلبت الياء ألفا،أو كقولنا :إن(صائم)أصلها:(صاوم) فقلبت الواو همزة،وكذلك القول بأن:(آمن)أصلها: (أأمن)، فقلبت الهمزة الثانية ألفا ... وغيرها. وكثير من اللغويين لم يفرقوا بين مصطلحي الإعلال والإبدال، بل جعل بعضهم الإعلال ضرباً من الإبدال، فهو جعل مطلق حرف مكان آخر، فكل إعلال إبدال وليس كل إبدال إعلال.

وقد قسم الصرفيون الإبدال إلى قسمين:

أ/ الإبدال في الحروف الصحيحة:

كإبدال (الطاء) أو (الدال) من تاء الافتعال، وهذا النوع من الإبدال الصرفي يحدث في الحروف الصحيحة.

ب/ الإبدال في حروف العلة: وهذا النوع يحدث فقط في حروف العلة، ويسمى إعلالاً، فالإعلال إذن من الظواهر التي تعترى أصوات الصيغ الفعلية، قال الرضي: "الإعلال مختص بتغيير حروف العلة للتخفيف أي: الألف والواو والياء بالقلب أو الحذف، أو الإسكان"(الرضي،ج3،ص66-67) وأضاف ابن عصفور الهمزة (ابن عصفور،1996م،ج2،ص102).وعلّل ابن يعيش تسميتها بحروف العلة بقوله: "... وسميت هذه الحروف علة لكثرة تغيّرها"(ابن يعيش،ج10،ص54) ، وتحدث هذه الظاهرة بهدف تحقيق الانسجام بين أصوات الصيغة.

وفيما يلي نعرض لصور الإعلال بأنواعه الثلاثة في الحديث الشريف حسب موقعه في الصيغة:

1/ الإعلال بالقلب:

ورد هذا النوع من الإعلال كثيراً في الصحيح، وهو مختص بإبدال حرف العلة والهمزة بعضها مكان بعض وإذا كان كل حرف من الأربعة يمكن أن ينقلب إلى نظرائه يعنى ذلك أن لدينا اثنتا عشرة صورة، إلاّ أننا سنكتفي بذكر بعضها ، وفيما يلي بعض الشواهد التي حدث فيها إعلال بالقلب:

أ/ قلب الألف ياء:

تقلب الألف ياء في مواضع منها:

إذا وقعت بعد كسرة: كما في جمع:"(مِصْباح، مِفتاح، مِيزان:على مصابيح، مفاتيح، موازين وفي تصغيرها يقال أيضاً : (مُصَيْبِيح ، مُفَيتيح، ومُوَيْزين ... الخ"(الرضي، ج1،ص249). جاء في الحديث: "عن جابر قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " أطْفِؤوا المصابيح بالليل إذا رقدتم ..."(البخاري،ح6269،ص1124).

(مصابيح)، يقال فيه أن ألف المفرد قلبت ياء في الجمع؛ لوقوعها بعد كسرة؛ إذ الأصل: (مَصَابِاح): (مصابِيح).

وكذلك يحدث في التصغير في نحو: غُلَيِّم، تصغير:(غُلام)، قلبت الألف: (ياء)؛ "لوقوعها بعد ياء التصغير، وأدغمت في ياء التصغير"(الرضي،ج1،ص226)، جاء في الحديث أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قال: "... (نَامَ الغُلَيِّم)"(البخاري،ح117،ص34)، وهو: (ابن عباس)، ذكر في صفة صلاة الليل.

ومعروف أن أوزان التصغير هي:(فعيل، فعيعل، وفعيعيل)، وبالتالي يخالف الوزن التصغيري الوزن التصريفي للكلمة. فمصيبيح وزنها الصرفي: (مفيعيل) و (غليِّم) فعيلل، قيل: "لأنهم قصدوا الاختصار بحصر جميع أوزان التصغير فيما يشترك فيها بحسب الحركات المعينة والسكنات لا بحسب زيادة الحروف وأصالتها"(الرضي،ج1،ص14،وعضيمة،2005،ص41)، بمعنى حصرها في الصيغ التي ذكرنا، وهذا ما يراعى في الميزان عند وزننا لهذا النوع من الكلمات.

ب/ قلب الواو ياء:

يحدث ذلك في الأفعال والأسماء، ورد في الحديث: "عن عَلْقَمة، قلت لعائشة رضي الله عنها: هل كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم –يختصُّ من الأيام شيئاً، قالت: لا كان عمله دِيمة وأيُّكم يُطِيقُ ما كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يطيق"(البخاري،ح1987،ص344).

(دِيمة) على (فِعلة) من (دام : يدوم)، قلبت الواو ياء لكسر ما قبلها؛ إذ الأصل: (دِومة)، والكسر يناسب الياء، فتخفيفاً حصل القلب، وقلب الواو (ياء) هو قاعدة صرفية، وعلة ذلك ما ذكره ابن جنّي بقوله: "أن الياء يناسبها الكسر، فلما كسر ما قبل الواو استثقل الواو فجئ بما يناسب الكسر وهو الياء"(ابن جني،1960م،ص284)، لذا يطلق عليه الإعلال بالقلب. وما قلب في المفرد يقلب في الجمع قال: "إنما وجب قلب هذا الضرب في الجمع؛ لأنه قد كان في الواحد مقلوباً لانكسار ما قبل عينه ... فهذا وغيره يدُلُّك على أنهم قد يراعون في الجمع ما كان في الواحد، فكذلك قالوا: دِيَم ..."(ابن جني،1960،ص284–285،وابن عقيل،2005م،مج2،ج4،ص178). قال الجوهري: "والدِّيمة في الأصل المطر المستمر مع سكون بلا رعد ولا برق"(الجوهري،1956م،ج5،ص1924).

ومن أمثلته كذلك ما جاء في الحديث: "عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "أطْعموا الجائع وعودوا المريض وفُكُّوا العانِي"(البخاري،ح5373،ص985) ، في نص الحديث: (العاني)، قال ابن منظور: "يقال عنا يَعْنُو عُنُوّاً ... والعاني يعني الأسير ... قال: وكل من ذلّ واستكان وخضع فقد عنا"(ابن منظور،2000م،ج10،ص314). حدث فيه إعلال بالقلب – قلب الواو ياء – وعلة القلب: "لتطرفها وكسر ما قبلها"(الرضي،ج3،ص161)، والكسر يناسب الياء، ولاستثقال الواو مع الكسر، جيء بما يناسبها وهو الياء. وينطبق ذلك على أسماء الفاعلين إذا أُنثت فيقال مثلاً: السامية، أو الداعية ... وغيرها، من الساموة والداعوة، فتطرفت الواو على الرغم وجود تاء التأنيث؛ لأنها عارضة على الصيغة.

ومن شواهد الأفعال على ذلك القلب، ما جاء في الحديث: "عن المغيرة، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "إن الله حرَّم عَلَيْكُم عُقُوقَ الأمهات، ومَنْعاً وهَاتِ، ووأد البنات، وكَرِهَ لكُمْ:قِيل وقَال، وكَثْرةَ السُؤالِ، وإضاعَةَ المالِ"(البخاري،ح5975،ص1075).

(قيل) على (فِعل) من القول: قلبت الواو ياء، وقد اختلف فيها: هل هي: اسم أم فعل؟ قال الجوهري: "يقال:كثُر القيل والقال .. وهما اسمان"(الجوهري،ج5،ص1806)، وقال ابن حجر: "... وقيل: فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنهما مصدران للقول، تقول: قلت قولاً وقيلاً وقالاً، وثانيهما: إرادة حكاية أقاويل الناس. وثالثها: أن ذلك في حكاية الاختلاف في أمور الدين ..."(ابن حجر،2000م،ج10،ص500).

وما يهمنا هناالناحية الصرفية من قلب في حروف العلة، سواء أكان اسماً أم فعلاً مبنياً للمفعول، ويكثر هذا النوع فيما اعتلت عينه من الأفعال، يكون أصل: "(قِيل):قُوِل: استثقلت الحركة على الواو، فنقلت إلى القاف بعد حذف حركتها، فانقلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ..."(ابن جني،1999م،ج3،ص224)، وهو أكثر في اللغة وأجود. وبعض العرب: "كبني أسد يقولون:قُول وقيل بمعنى واحد"(ابن منظور،ج12،ص222)، إلاّ أن المحدثين يرون أن الفعل الأجوف عند بنائه للمجهول تسقط عينه؛ لوقوعها بين حركتين متنافرتين قصيرتين (فُعِل)"(البكوش،1992،ص151).

وبهذا القلب حدث تغير في الصيغة.

ج/ قلب الياء واواً:

تقلب الياء واواً كذلك لعلةٍ تصريفية، تستدعي هذا القلب، ويكون في عدة مواضع، تخضع في أغلبها لظاهرة التناسب الصوتي، بمعنى أن الياء تكون في أغلب هذه المواضع مسبوقة بضمة – ما سبقت الواو كسرة –فيقتضي ذلك قلب الياء واواً للمناسبة الصوتية، إذ الضم يناسب الواو، كما الكسر يناسب الياء، إلاّ إذا كان هنالك عاملاً أقوى من المناسبة، وسنكتفي هنا بذكر بعض المواضع: ويحدث في الأسماء كما يحدث في الأفعال ومن أمثلة ذلك في الصحيح:

ما جاء في حديث السيدة: أسماء رضي الله عنها، ومنه: "قال النبي – صلى الله عليه وسلم – "يُقَال: ما علمك بهذا الرَّجُل؟ فأما المؤمن – أو الموقِن ... فيقول: هو محمدٌ رسولُ الله جاءنا بالبيِّنات والهُدى، فأجَبْنا واتّبعنا ... فيقال: نَم صالحاً، قد علمنا أنْ كنت لَمُوقِنا به ..."(البخاري،ج86، ص29)، هذا ما يقوله المؤمن في قبره.

(مُوقن): اسم فاعل من أيقن وهو مزيد بالهمزة من (يَقِنَ) جاء في اللسان: "قال ابن سيده: يقِن الأمر يَقَناً ويَقِيَناً، وأيقنه وأيقن به ... إنما صارت الياء واو في قولك (موقن) للضمة قبلها"(ابن منظور،ج15،ص321) فوجب قلبها واواً، قلبت الياء واواً؛ (لسكونها وضم ما قبلها) (ابن عقيل،مج 2،ج4،ص179،والحملاوي،ص213)، ويحدث ذلك في مضارع الماضي الذي على: (أفعل) إذا كانت فاؤه ياء، مثل: (أيقن، وأيسر وأيقظ ...) وكذلك في اسم المفعول؛ لأنه لا فرق بينه وبين اسم الفاعل إلاّ في حركة ما قبل الآخر. وغيرها من مواضع.

د/ قلب الواو والياء ألفاً:

ويحدث: "إذا تحركت الواو أو الياء وانفتح ماقبلهما فتقلبا ألفاً" (ابن عقيل، مج2،ج4، ص185، والحملاوي، ص215–216). سواء أكانت في فعل أو اسم، ومن أمثلة ذلك في الحديث كثير، منها: "عن عبدالله رضي الله عنه قال:كنا نسلِّم على النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو في الصلاة، فيُردُّ علينا، فلما رَجِعْنا من عند النجاشيِّ، سلَّمنا عليه فلم يرد علينا وقال: "إنّ في الصلاة شُغْلاً" (البخاري،ح1119،ص211).

فـ كلمة: (الصلاة) حدث فيها قلب فـ (ألف صلاة) ... منقلبة عن واو؛ لقولهم في جمعها: (صلوات) ، قال تعالى: (حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ ...) (البقرة،238).

أما في الأفعال، كل فعل معتل العين بالألف ويسمى أجوفاً . قيل: (سمي أجوفاً تشبيهاً بالشيء أخذ ما في داخله فبقي أجوف، وذلك لأنه يذهب عينه كثيراً" (الرضي،ج1،ص34)، فهي منقلبة عن: (ياء) أو (واو)، قال ابن يعيش: "لا يخلو حرف العلة إذا كان عيناً من أن يكون واواً أو ياءً"(ابن يعيش،1973م،ص52). ومعروف أن حركة عين الفعل تضفي على الفعل خصائص نحوية تتمثل في التعدية أو عدمها.

ومن أمثلة ذلك الأفعال: (باع، سار، قام، صام، بات ..."، ومن الشواهد على ذلك في الصحيح: "عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: رَحِمَ اللهُ رَجُلاً سَمْحاً إذا بَاعَ ، وإذا اشْتَرَى وإذا اقْتَضَى"(البخاري،ح2076،ص359).

الفعل: بَاعَ)، حدث فيه إعلال بقلب الياء (ألف)؛ إذ الأصل يَبِيعَ :تحركت الياء وانفتح ما قبلها، فقلبت الياء ألفاً "(ابن جني،ص213،وابن عقيل،ج4،ص184)، والفتح يناسب الألف.

هـ/ قلب الواو والياء همزة:

تشترك الواو مع الياء في بعض المواضع، التي يجب فيها قلب الواو همزة، وقلب الياء همزة. وسنكتفي بذكر بعضاً منها موضحاً في الحديث:

أن تقعا عيناً لاسم فاعل من فعل ثلاثي أعلتا فيه"(ابن غقيل،ج2،ص4):

"عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: كُلُّ عَمل ابْنِ آدَمَ لَهُ إلاّ الصوم، فإنّه لِي وأنا أَجْزِي به، ولَخَلُوفُ فَمِ الصَّائم أطيب عند الله من ريح المسك"(البخاري،ح5927،ص1086).

(الصائم) اسم فاعل من صام : يصوم، قلبت الواو همزة.

وكذلك: "عن أنسٍ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "فَضْلُ عائشةَ على النِّساءِ، كَفضْلِ الثَّرِيدِ على سائر الطَّعام"(البخاري،ح5419،ص990)، أي: جميعه.

(سائر) من (سير)، قلبت الياء همزة.

وفيه: "أن إعلال الواو في الماضي شرط لحدوث الإعلال في اسم الفاعل، فإن كانت غير معلة بقيت كذلك في اسم الفاعل، كما أن هذا الإعلال خاص بصيغة (فاعل)؛ لأنه قد يجئ اسم الفاعل من فعل أعلت الواو فيه ولا تقلب في اسم الفاعل همز؛ وذلك لعدم تحقق ثلاثية الفعل، كما في أقام مقيم ..."(شعبان،1983م،ص19).

إذا تطرفت الواو أو الياء بعد ألف زائدة"(الرضي،ج3،ص173): نحو: (سماء، دعاء، بناء، حياء ...) وأصلها على التوالي: (سماو، دعاو، بناي، حياي ..."؛ لأن أصلها المعجمي هو: (س و م)، (د ع و)، (ب ن ي)، (ح ي ي)، حيث يدل على أن الهمزة أصلها واو، أو ياء.

ومن أمثلة ذلك في الصحيح، ما جاء في الحديث: "عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " الإيمانُ بِضْعٌ وسِتُّونَ شُعْبَةً ، والحَياء شُعْبة من الإيمانِ"(البخاري،ح9،ص13–14).

حدث في كلمة: (الحياء) قلب الياء همزة. بدلالة الفعل: (حييت)؛ وذلك لتطرفها بعد ألفٍ زائدة وهذه قاعدة مطردة عند علماء التصريف، ويحدث ذلك في تطرف الواو كذلك، والهمزة في الحقيقة منقلبة عن ألف، وهذه الألف منقلبة عن ياء أو واو، قال ابن جني في نحو ما ذكرنا من أمثلة: "فالهمزة في الحقيقة إنما هي بدل من الألف، والألف التي أبدلت الهمزة عنها بدل من (الياء) و(الواو)، إلاّ أن النحويين إنما اعتادوا هنا أن يقولوا: إن الهمزة منقلبة من (ياء) أو(واو)، ولم يقولون من ألف؛ لأنهم تجوَّزوا في ذلك؛ ولأن تلك الألف التي انقلبت عنها الهمزة هي بدل من (الياء) أو(الواو)، فلما كانت بدلاً منها جاز أن يقال: عن الهمزة منقلبة عنهما، فأما الحقيقة فإن الهمزة بدل من الألف المبدلة من (الياء) و (الواو)"(ابن جني،ج1،ص93–94).

وغيرهما من مواضع، يزخر الحديث بقدر وافر منها، إلاّ أننا اكتفينا بذلك توضيحاً لمفهوم الإعلال بالقلب.

2/ الإعلال بالحذف:

وهو النوع الثاني من أنواع الإعلال، ويتمثل في حذف حرف، وهذا الحذف قد يكون سماعياً، كحذف الياء للتخفيف وهي لام الكلمة في: يد، ودم، وأصلها يدٌي ودمٌي، وكحذف الواو وهي لام الكلمة في: أب، وأخ ... وأصلها أبٌو وأخٌو، قال ابن يعيش: "أعلم أن هذه الكلم مما كثر استعمالها محذوفة حتى غلبت الأصل، ولم يجز إتمامها إلاّ في ضرورة الشعر ..."(ابن يعيش،ص393)، كما في قول الشاعر:

فلو أنّ ا على حَجَرٍ ذُبِحْنَا جَرَى الدَّميانِ بالخَبَرِ اليقين(ابن يعيش،ص409، والمبرد،1963 م ،ج2،ص238).

وقد يكون الحذف قياسياً مبنياً على قاعدة صرفية، وهو ما سنتناوله في هذه الدراسة، فهو إما أن يكون: حذف حرف فقط: كحذف الواو التي تمثل في فاء الفعل في: (وَعَى : يَعِي)، وعلة حذفها؛ "لوقوعها بين ياء مفتوحة وكسرة"(ابن يعيش،ص333،وابن عصفور،ج1،ص120،والأشموني،1955م،ج3،ص884)، قال ابن مالك:

فَا أَمرٍ أَو مَضَارِعٍ مِنْ وَعَدْ ** احْذِفْ وفي كَعِدَةٍ ذَاكَ أَطَّرَادْ.(الأشموني،ج3،ص884،وابن عقيل،ج4،ص196).

ومن أمثلة ذلك كثير نحو: وعد، وزن، وضع ... الخ، والشاهد على ذلك في الحديث الشريف: "عن أبي هريرة، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "من لم يَدَعْ قَوْل الزُّور والعمل به والجهل، فليس لله حاجةٌ أن يدع طَعَامَهُ وشرَابَه"(البخاري،ح7057،ص1086).

الفعل (وَدَع) من: (وَدَع) على (فَعَل) ومضارعه على: (يفعِل)، وحذفت الفاء للتخفيف فأصبح وزنه: (يَعِل)، وقد علّلوا لهذا الحذف: "لوقوعها بين ياء وكسرة"(ابن يعيش،ص333،والأنباري،2003م،ج2،ص644)، هذا عند البصريين، أما الكوفيون: "إنما تسقط الواو فرقاً بين المتعدي من هذا الباب وبين لا يتعدى"(ابن سيده،1320هـ،ج14،ص124،وابن جني،ص181،والأنباري،ج2،ص644)، وتعجب البعض من هذا القول إذ لا وجه لذكر المتعدي وغير المتعدي في هذا الموضع، ويرد ابن يعيش بقوله: "اللازم في ذلك والمتعدي على سواء وذلك ليجري الباب على منهاج واحد في التخفيف بحذف الواو"(ابن يعيش،ص48).

فالأصل فيه: (يَوْدِع) على (يفعِل) بالكسر، وإنما فتح: "لمكان حرف الحلق فالفتح إذاً عارض والعارض لا اعتداد به كالمعدوم" فحذفت الواو فيها؛ لأن الكسر في حكم المنطوق بها. ويعدُّ ذلك عند بعضهم مخالفاً للقاعدة في: (وعد/ ووزن ...).

وما حدث ينطبق على المصدر من هذه الأفعال: فقالوا: "عِدة، وزِنة" بحذف الفاء على: (عِلة) والأصل: (وِعْدةٌ) و (وِزْنةٌ)، على (فِعْلة) "فاستثقلت الكسرة على الواو فنقلت إلى ما بعدها، وحذفت الواو تخفيفاً؛ لأنها قد حذفت من فعل هذه المصادر"(ابن يعيش،ص334).

وما ذكرنا مثال لحذف الحرف، كما يحدث الحذف للحرف الزائد، وذلك إذا كان الفعل على وزن (أفعل) حذفت الهمزة لاستثقال النطق بها مع همزة المضارع، كما تحذف من اسم الفاعل واسم المفعول والمصدر الميمي واسمي الزمان والمكان من الفعل، كالفعل: (أخرج)، ومثاله قول الشاعر:

شد ـيْخٌ على كُرسِّيه مُعمّما * فإنه أهلٌ لأن يـ ـُوَكْرما.(ابن يعيش،ص339، والرضي،ج1، ص139، والأشموني،ج3،ص884)حيث أثبت الهمزة، واستعمل الأصل المرفوض، لذا عدَّ ذلك شاذاً، وكان القياس أن يقول: "لأن يكرما"(الأزهري،2000م،ج2،ص396) ، وقد عدّ بعضهم(الأشموني،ج3،ص887)، ذلك ضرورة شعرية.

وحذف الحرف قد يكون كذلك سبب التقاء الساكنين، كما في الحديث: "... وإقام الصلاة..."(البخاري،ح53،ص21–22)، فـ(قَام) أصله (إقْوام)"نقلت حركة العين إلى الفاء وقلبت الواو ألفاً لمجانسة الفتحة قبلها، فالتقى ألفان، فحذفت الثانية منهما ..."(ابن عقيل،ج4،ص190)، تخلصاً من التقاء الساكنين.

وسنكتفي في هذا على ما ذكرنا من أمثلة، وذلك لطول هذه المسألة، والتي قد تدخلنا في مباحث أخرى من علم الصرف.

وأعلم أنه ليس من باب الإعلال بالحذف ما يحدث من حذف حرف العلة في حالة جزم المضارع المعتل الآخر من غير الأفعال الخمسة، كقولك: لم يمشِ لم يسُم ... "فهذا الحذف بسبب الإعراب أو البناء وليس لسبب صرفي"(شعبان،ص74).

3/ الإعلال بالنقل (التَّسكين):

وهو النوع الأخير من أنواع الإعلال، وفيه: "تنقل حركة حرف العلة إلى الساكن الصحيح قبله، ويسكن حرف العلة"(الحملاوي،ص220)؛ لأنه ضعيف لا يحتمل الحركات، والحرف الصحيح أقدر على تحمل الحركة كما يقولون.

وقد يقتصر الأمر على النقل إذا كان حرف العلة مناسباً للحركة المنقولة، كنقل الكسرة من الياء إلى الساكن الصحيح قبلها، في: (يسير) مثلاً التي أصلها: (يَيْسِر) ووزنها: (يفعِل)، أو نقل الضمة من الواو إلى الساكن الصحيح قبلها، كما في: (يَصُوم) وأصلها: (يصْوُم)، قيل: "إذا كان عين الفعل واواً أو ياء وقبلهما ساكن صحيح وجب نقل حركة العين إليه؛ لاستثقالها على

حرف العلة ..."(الأشموني،ج3،ص861) – كما مثلنا – جاء في الحديث: "عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "لا يـ تقدَمنَّ أحدُكُم رمضان بصوم يومٍ أو يومين، إلاّ أن يكون رجُلٌ كان يَصُومُ صَومه، فليصُمْ ذلك اليوم"(البخاري،ح1914،ص332). ولا يكون هذا النوع من النقل إلا بشروط ذكرت في شروح الألفية.(الأشموني،ج3،ص861،وابن عقيل،ج4،ص188).كما قد يستتبع هذا النقل إعلالاً آخر بالقلب أو بالحذف: كالفعل: (خاف).

(يَخاف) أصلها: (يَخْوف) على: (يَفْعل)، "نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح قبلها فصارت: (يَخْوف)، ثم قلبت الواو ألفاً لمناسبة الفتحة قبلها، إذا كانت متحركة بحسب الأصل، وفتح ما قبلها الآن، فصارت (يَخاف)"(ابن يعيش،ص340).

ومما يلاحظ عدم تغير الوزن، على الرغم من تغير الحركة والسكون، فالصيغة كما هي: (يَفْعل).

أما إذا حدث إعلال بالنقل وتبعه إعلال بالحذف: "وزنت الكلمة على صورتها الأخيرة"(ابن عقيل،ج2،ص4).

فيتبين لنا من خلال ذلك أن حروف العلة إذا لم تتجانس مع الحركة التي تلحقها يطرأ عليها تغييرات كالقلب والحذف والنقل. بغية المجانسة، باتفاق علماء الصرف القدامى والمحدثين، إلا أن تفسير المحدثين لعملية قلب حروف العلة: "بأنه إسقاط لها وأنه ليس هنالك نقل للحركة بل تطويل للحركة"(البكوش،ص151).

وبالتالي فإن ظاهرتي الإبدال والإعلال تؤديان دوراً ملحوظاً في التغيير الداخلي الطارئ على الصيغ، فمن خلالهما، نتعرف على أصول الكلمات ويسهم ذلك في سهولة الرجوع إليها في المعاجم لمعرفة معانيها وضبطها.

2/ ظاهرة الإدغـام

بإسكان الدال وتشديدها: "والتسكين عبارة الكوفيين، والتشديد عند البصريين"(ابن يعيش،ج10،ص121،والأشموني،ج3،ص889،والحملاوي،ص224)، هو ضرب من التصريف، أو ظاهرة لغوية صوتية من الظواهر التي تحدث في الأسماء كما تحدث في الأفعال، بغرض التسهيل في اللفظ وخفته.

الإدغام لغة: إدخال الشيء في الشيء، قيل: "أدغمت الفرس اللجام إذا أدخلته فيه، ومنه إدغام الحروف ... قال الأزهري: وإدغام الحرف مأخوذ من هذا ... يقال: أدغمت الحرف وأدَّغمته على افتعلته ..."(الجوهري،ج5،ص1920،وابن منظور،ج5،ص272).

وفسّر الرضي إدخال الحرف في الحرف بقوله: "وليس إدغام الحرف في الحرف إدخاله فيه على الحقيقة، بل هو إيصاله به من غير أن يفك بينهما"(الرضي،ج3،ص).

وفي الاصطلاح: عرَّفه ابن يعيش بقوله: "ومعناه في الكلام أنْ تصل حرفاً ساكناً بحرف مثله متحرك، من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف، فيصيران لشدة اتصالهما كحرف واحد يرتفع اللسان عنهما رفعة واحدة شديدة ... نحو: مدَّ وشدَّ"(ابن يعيش،ج10،ص121).

والغرض من ذلك كله التخفيف؛ إذ أن نطقك بالحرف ثم العودة إليه بعد النطق به ينتج عنه ثقل، يصعب على اللسان، ومعروف أن اجتماع المثلين عندهم مكروه، قال سيبويه فيما ورد عن الخليل: " لأنّه لما كان في موضع ثقل عليهم أنْ يرفعوا ألسنتهم من موضع ثم يعيدوها إلى ذلك الموضع للحرف الآخر، فلما ثقل عليهم ذلك أرادوا أن يرفعوا رفعة واحدة"(سيبويه،ج3،ص530).

وقد أجمل ابن عصفور ذلك في تعريفه للإدغام بقوله: "هو رفعك اللسان دفعة واحدة، ووضعك إيَّاه بهما موضعاً واحداً، ولا يكون إلاّ في المثلين أو المتقاربين ..."(ابن عصفور،ج2،ص304،والسيوطي،1998م،ج3،ص442).ففسره تفسيراً صوتياً،

موضحاً أقسامه، التي ربطها كذلك بالتقارب في المخرج أو التقارب في الصفات، وعلّل ذلك بثقل رفع اللسان من موضع ثم إعادته إليه. قال: "والسبب في ذلك أن النطق بالمثلين ثقيل؛ لأنك تحتاج فيهما إلى إعمال العضو الذي يخرج منه الحرف المرتين فيكثر العمل على العضو الواحد ... وأما المتقاربان فلتقاربهما أجريا مجرى المثلين"(ابن عصفور،ج2،ص304).

ومن اللغويين من جسد حصول الإدغام، بأن شبهه بمشي المقيَّد، قال ابن يعيش: "وقد شبه الخليل ذلك بمشي المقيد؛ لأنّه يرفع رجله ويضعها في موضعها أو قريب منه؛ لأن القيد يمنعه عن الانبعاث وامتداد الخطو"(ابن يعيش،ص451-452،وج10،ص121).

أما عن تقسيمه من حيث الاستعمال، فهو كالإبدال:

أ/ إدغام لغويّ:

وهو ما يسمع من الأعراب، أي: لا تحكمه قاعدة محددة، إلاّ أنه جائز.

ب/ إدغام صرفيّ:

وهو باب مُتسع وشائع، كما أنّ له قواعد تحكمه لمعرفة أصول ما حصل فيه الإدغام، ويكون في الكلمة والكلمتين، والقرآن وقراءاته خير من يمثّل الإدغام بأنواعه.

وله ثلاث أحوال: الوجوب والجواز والامتناع.

على الرغم من عدم تعلق الدراسة بعلم الأصوات، إلا أننا سنتعرض لأقسامه، مع ارتباطها بعلم الأصوات، مكتفين بذلك ببعض مخارج الحروف وأصواتها إذ لا مفر من ذلك. وأقسامه هي:

1/ إدغام المِثْلين:

ويقصد بالمثلين اتفاق الحرفين مخرجاً وصفة، حيث أن العربية تميل إلى التخلص من المقاطع المتماثلة، فالمثلان وكذلك المتقاربان إذا اجتمعا، خففا بالإدغام أو الإبدال أو الحذف، و "العربية تستثقل التضعيف غاية الاستثقال؛ لأنّ ثمة كلفة شديدة على اللسان في الرجوع إلى المخرج بعد الانتقال عنه"(الرضي/ج2،ص238).

وإظهار التضعيف عندهم أكثر ثقلاً، وعليه فإذا تجاور صامتان متماثلان في المخرج والصفة، فإنَّ أحدهما يدمج في الآخر؛ لينطق بهما صوتاً واحداً مشدداً، قال الكوفيون: "الإدغام أداء صوتي مفاده إدخال الصوت في مجاوره"(السيرافي،2008م،ص258).

ورد إدغام هذا النوع كثيراً في الحديث الشريف في صحيح البخاري، وهو على أحوال:

أ/ المثلان عين الفعل ولامه، والثاني منهما ساكن:

ومن شواهد ذلك ما جاء في الحديث: "عن أبي موسى، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "المؤمنُ للمؤمنِ كالبُنْيانِ يَشدُّ بَعْضُه بَعْضاً "(البخاري،ح6026،ص1082).

(يشدُّ) بدالين، حدث فيه إدغام، أصلُه: يشْدُد على: (يفْعل)، قال ابن يعيش: "والمضارع من الأفعال كلها، نحو: يشدُّ ... كل العرب تدغمه؛ للزوم الحركة في لامه"(ابن يعيش،ص452)، وبالتالي يعدُّ مما يجب فيه الإدغام.

وكذلك: ورد في الحديث الشريف، ومنه: قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – : "ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يَسْتَعِفْ يُعِفَّه الله ..."(البخاري،ح1469،ص260)، قوله: (من يستعِفْ) بالإظهار، وفي رواية أخرى (من يَسْتعِفَّ يُعِفَّه الله ...)(البخاري،ح6470،ص1150)، بالإدغام حيث أدغمت الفاء الأولى في الثانية، وحركت الثانية لالتقاء الساكنين، حُركت بالفتح طلباً للخفة، كما يجوز الكسر على أصل التقاء الساكنين، مما يدل على جواز الاثنين، وهو مضارع مجزوم،

على: (يستفعل)، قيل أن "الإدغام لغة تميم، والإظهار لغة الحجاز"(سيبويه،ج3،ص530،وابن جني،ج1،ص259،وابن يعيش،ص454،والرضي،ج3،ص246)، بمعنى أن التميميين يدغمون آخر الفعل المجزوم، أما أهل الحجاز فيميلون إلى الإظهار، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: (...مَن يَرتَدَّ مِنكُم عَن دِينِهِ ...)(المائدة:54)،" قراءة نافع وابن عامر: (من يرتدِد) بدالين ظاهرتين، الأولى مكسورة والثانية ساكنة، وقرأ الباقون: بدال مشددة مفتوحة"(أبو حيان،1420هـ،ج4،ص297) ،وابن الجزري،ج2،ص255،والبناء،ص201). فاستعمل الفعل بوجهين: الإظهار والإدغام موافقاً لما جاء في الحديث.

فالذي مال إلى الإدغام فإنه أراد: "التخفيف لما اجتمع له مثلان فاسكن الأول للإدغام فاجتمع له ساكنان، فحرّك ثم أدغم الأول فيه، وهي لغة بني تميم ..."(أبو حيان،ج4،ص297).

أما قوله تعالى: (...وَمَن يَرتَدِد مِنكُم ...)(البقرة:217)، "فكلهم أظهر الدالين ولم يدغم وهو على لغة الحجاز"(أبو حيان،ج2،ص391)، وعليه فتتغير الصيغة للفعل حسب تغيره من الإدغام على: (يرتدَّ) إلى الإظهار:(يرتدِد).

ب/ المثلان المتحركان، عين الفعل ولامه:

ويحدث في الأسماء والأفعال، ومن أمثلته في الصحيح، ما جاء في قوله – صلى الله عليه وسلم – : "عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " لا يَبِيتُ لِمُسْلِمٍ ثلاثةٌ من الوَلَدِ فيلج النار، إلاّ تَحِلَّةَ القَسَمِ "(البخاري،ح6656،ص1178).

فـ (تحلّة) مصدر، والأصل فيه:تَحْلِلَة) على: (فَعْلَة) بتحريك عين الفعل ولامه، مما استدعى الإدغام: (فنقلت حركة اللام الأولى للحاء وأدغمت في الثانية).

وكذلك ما حدث في صيغة: (تفاعل)؛ وذلك إذ كان عين الصيغة حرفان متماثلان متحركان، ما قبلها حرف مد، وقد وصفه سيبويه بأنه: "حسن؛ لأنَّ حرف المد بمنزلة المتحرك في الإدغام"(سيبويه،ج4،ص437).

ورد في الحديث: "عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -ترى"المؤمنين في تَرَاحمهم وتَوادِّهم، وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشْتَكَى عُضواً، تداعى له سائرُ جسده بالسّهر والحُمَّى"(البخاري،ح6011،ص1080).

(توادِّهم) على: (تفاعل)، حدث إدغام للمتماثلين المتحركين (الدالين)، اللذان يمثلان الصوتان المجهوران، فأدغما بعد سقوط صائت أولهما والتقاء المدّ بالإدغام، والأصل (التوادد)، قال الزبيدي:"تودد إليه: تحبب، والتوادُّ التحابُّ (تفاعُلٌ) من الوداد وقع فيه إدغام المثلين ..."(الزبيدي،ج2،ص301)، كما جاء كلام ابن حجر(ابن حجر،ج10،ص540). مؤكداً ذلك.

والذي يمثل الأفعال: ما جاء في الحديث: "عن أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ولن يُشادَّ الدِّين أحدٌ إلاّ غَلَبَه، فسَدِّدوا وقَارِبُوا وأَبْشِرُوا ... "(البخاري،ح9،ص18).

(يشادَّ) أصله: (يشادِد) على: (يفاعل) من الثلاثي: (شدَّ)، حدث فيه إدغام للمثلين:الدالين إدغاماً واجباً؛ لاجتماع مثلين متحركين، فللتخفيف كان لابد من الإدغام لثقل الفعل،" وثقل الفعل يأتي من كونه فرعاً من الاسم، ولا يدغم في ذلك الأسماء، نحو: (شَوِر) وغيرها، لخفة الاسم، كما أن الثلاثي من الفعل لا يجئ على: (فْعل) ساكن العين، كما تتصل بآخره الضمائر المتصلة المرفوعة فيكون الفعل معها كالكلمة الواحدة "(الرضي،ج3،ص88و244،وابن يعيش،ص452). وقد استوفى شروط الإدغام(الأشموني،ج3،ص890،وابن يعيش،ج10،ص122) ومنها:

1- أن يكون في كلمة واحدة، نحو: شدَّ، أصلها: شَدَد.

2- التشديد غير ناتج عن الإلحاق؛ إذ يمتنع ذلك، نحو: جَلْبَب.

3- وألاّ يكون تحريك أحد المثلين عارضاً .

4- ولم يكن مما شذت العرب في فكه اختياراً، وهي ألفاظ محفوظة لا تقاس.

جـ/ المِثلان الأوَّل منهما ساكن والثاني متحرك:

كالذي حدث في تصغير: (غلام)، جاء في الحديث: "عن ابن عباس قال: بتُّ في بيت خالتي ميمونة بنت الحارث، زوج النبي – صلى الله عليه وسلم – وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – عندها في ليلتها ... ثم قال:"نام الغُلَيِّمُ؟" ..."(البخاري،ح117،ص34).

(غُلَيِّم) وزنه التصغيري: على: (فُعَيِّل)، تصغير: (غلام)، أما الوزن الصرفي له: (فُعَّل)، حدث فيه إدغام الألف بعد قلبها ياء في ياء التصغير، حيث أن الياء الأولى (ياء) التصغير ساكنة، أما الثانية فهي المبدلة من الألف متحركة، قيل فيه:"يجب قلب الألف ياء إذا وقعت قبلها ياء التصغير"(ابن عقيل،ج4،ص176).

2/ إدغام المتقاربين:

ذكره سيبويه بقوله: "هذا باب الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد"(سيبويه،ج4،ص454). ويثني على هذا النوع بأنه حسن في الحرفين الذين هما سواء، أي: من مخرج واحد، فالمقصود به: "ما تقاربا في المخرج أو في صفة تقوم مقامه ... نحو: الشدَّة، والرخاوة، والجهر والهمس، والإطباق ... وغير ذلك"(الرضي،ج3،ص250).

ويحدث ذلك كثيراً في صيغة: (تفعَّل وتفاعل، وافتعل)، على ما أشار إليه أكثر الصرفيين كابن عصفور الذي جوز ذلك بقوله: "... يجتمع المتقاربان في (افتعل) أو (تفاعل) أو (تفعَّل)، نحو: اختصم، وتطيَّر، وتطاير، فإنه يجوز الإدغام فيها ... فإذا أردت الإدغام قلبت أحد المتقاربين إلى جنس الآخر ... ثم أدغمت فتقول في: (تطيَّر): (طَّيَّر) فتقلب التاء حرفاً من جنس ما بعدها وتسكنه بسبب الإدغام، ثم تدغم وتجتلب همزة الوصل؛ إذ لا يمكن الابتداء بساكن"(ابن عصفور،ج2،ص452). بمعنى أنه لابد من تجانس الحرفين ليحدث الإدغام.

ويؤكد ذلك ابن مالك بقوله: "تدغم (تاء) (تفعَّل) وشبهه في مثلها ومقاربها تاليه لهمزة وصل في الماضي والأمر"(أبو حيان،ج1،ص167-168)، ولعله قصد بشبه: (تفعّلى) (تفاعل) و(افتعل)، على ما صرح ابن عصفور، مما تجاور فيه (التاء) (فاء) الصيغة فهذه التاء الزائدة تدغم فيما يجاورها سواء أكان مثلها كالتاء أو ما يقاربها (ابن عصفور،ج2،ص444). وما يقاربها من أصوات: "الطاء والدال والظاء والذال والثاء، فكل واحد منهنّ يدغم في الخمسة الباقية، كما تدغم هذه في الضاد والجيم والشين والصاد والزاي والسين، ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: (ازَّيَّنت ...)(يونس:24)، فالذي حدث: أدغمت التاء في الزاي بعد قلبها زاياً، فسكنت، فاجتلبت لها ألف الوصل"(سيبويه،ج4،ص475)، حيث لا يمكننا الابتداء بساكن، فإنما هي: تَزَّيَّنْتْ.

ومثله في القرآن كثير، فلا شك أنه يمثل لغة العرب بكل قواعدها. بل هو المصدر الأول للغة العربية الفصحى، وما جاء شاهداً على ذلك في الحديث منه:

أ/ إدغام التاء في الطاء:

تمثل التاء الصوت الأضعف؛ لأنّ الإدغام قائم على دمج: "الأضعف في الأقوى"(ابن جني،ص544،وابن يعيش،ج10،ص140): كما يدغم الساكن في المتحرك لضعفه وقوة المتحرك "عن طلحة بن عبيدالله: أنّ أعرابياً جاء إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثائر الرأس، فقال: يا رسول الله، أخبرني ماذا فرض الله عليَّ من الصلاة؟ فقال: "الصلوات الخمس إلاّ أن تطَّوَّع شيئاً "..."(البخاري،ح6956،ص1240).

تطَوَّعَ) أصلها: (تتطوَّع) على: (تتفعّل) مضارع: (فعّل)، حدث فيه إدغام للتاء في الطاء، بعد قلبها (طاء)، لتقاربهما، تخفيفاً، أو بحذفها كما في رواية: "عن أنس بن مالك ...إلاّ أن تَطَوَّع"(البخاري،ح46،ص20).

وهذا النوع من الإدغام ذهب إليه كثير من العلماء كسيبويه الذي أشار إليه بقوله: "وإذا كانت الطاء معها، يعنى مع التاء فهو أجدر أن تقلب التاء طاء، ولا تدغم الطاء في التاء فتخلّ بالحرف"(سيبويه،ج4،ص434و470)، فلم يري إدغامها في التاء؛ لأنهم لم يريدوا إلاّ أن يبقى الإطباق.

وتاكيداً لما جاء في الحديث قوله: "ومما يدغم إذا كان الحرفان من مخرج واحد، وإذا تقارب المخرجان، قولهم:يطَّوَّعون في يتطوَّعون ..."(سيبويه،ج4،ص474)، لاشتراك التاء والطاء في المخرج، ولمقاربتها في بعض الصفات، فهما يتفقان في الشدة، إلاّ أن التاء حرف مهموس والطاء حرف مجهور، كما يمكن أن تقول فيه: (طَّوَّع) بهمزة الوصل على ما ورد.

وكذلك مما أشار إليه ابن عصفور(ابن عصفور،ج2،ص444)، والرضي(الرضي،ج3،ص280-281)، ويطلق عليه عند بعضهم إدغام المتجانسين.

ب/ إدغام التاء في الصاد:

يحدث لتقارب المخرجان، واتفاقهما في بعض الصفات، فكلاهما صوت مهموس. جاء في الحديث: "عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: جاءرجلٌ إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: يا رسول الله، أيُّ الصدقة أعظم أجْراً؟ قال: "أن تصَدَّق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر وتأْملُ الغنى ..."(البخاري،ح1419،ص250).

ورد الفعل في الحديث: (تَصَدَّق) بحذف إحدى التاءين، وهو ما يجوز في هذه الصيغة – وكذلك في باب الحذف– إلاّ أنه ورد في فتح الباري: (تصَّدَّق): قال ابن حجر: "قوله: "أن تصَّدَّق"بتشديد الصاد وأصله تتصدق فأدغمت إحدى التائين"(ابن حجر،ج3،ص360)، والراجح أنها (التاء) التي تجاور (فاء) الفعل. وإدغام هذا النوع يتصف بأنه: "عربيٌّ حسن؛ لاختلاف المخرجين"(سيبويه،ج4،ص463)، كما ذكره ابن عصفور(ابن عصفور،ج2،ص444)، وغيره من علماء التصريف.

ج/ إدغام الضاد في الطاء:

كما في: (اضطجع) التي فيها إبدال، وهو إبدال: (التاء) (طاء) في صيغة: (افتعل)؛ لأنه مبدوء بـ (ضاد) في (ضجع)، فوردت فيه لغة بإدغام الضاد في الطاء المبدلة من (تاء) تقول: (طَّجع) بعد تحول (الضاد) إلى (طاء) ثم إدغام الأولى في الثانية، غير أن هذا الإدغام غير شائع، والمعروف أن الضاد لا تدغم في غيرها؛ لأن "الإدغام في الضاد أقوى؛ لأنها خالطت باستطالتها الثَّنَدِيَّة، وهي مع ذا مطبقة، ولم تجاف عن الموضع الذي قربت فيه من الطاء تجافيها"(سيبويه،ج4،ص466)، ذكر ابن عصفور: "أن ذلك قليل جداً ولا ينبغي أن يقاس"(ابن عصفور،ج2،438).

جاء في الحديث: "عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي – صلى الله عليه وسلم –إذا صلّى ركعتي الفجر اضطجع على شِقّه الأيمن"(البخاري،ح1160،ص250).

فـ (اضطجع): قد يرد بالإدغام على: "(اضَّجع) أو (اطّجع)"، وعلّلوا لحدوث ذلك التقارب الذي بينهما: بقولهم: "والذي شجعه على ذلك أشياء منها: موافقة الضاد للطاء في الإطباق الذي فيها، والاستعلاء، وقربها منها في المخرج، ووقوعها معها في الكلمة الواحدة ..."(سيبويه،ج4،ص470،وابن عصفور،ج2،ص438)، بمعنى أنه لا يكثر حدوث ذلك في كلمتين، فلاجتماع هذه الأسباب أدغموا، وإن لم يرد ذلك في لغة النبي – صلى الله عليه وسلم – في صحيح البخاري، ونسبة لعدم اطلاعنا على كل الروايات فلعل ذلك يكون قد ورد مع ندرته؛ لأنه – صلى الله عليه وسلم –خاطب كثيراً من الأقوام بلغاتهم. فلربما كان

لغة لإحدى القبائل العربية حيث عزا سيبويه هذا النوع من الإدغام لبعض العرب. ملتمساً لهم بعض المبررات، والمرجح أنهم من القبائل المتبدية التي تجنح إلى السرعة في الأداء فتضيع بذلك بعض الحروف.

د/ إدغام الواو في الياء:

وهي لا تدغم في حرف صحيح صرَّح بذلك كثير من العلماء(ابن عصفور،ج2،ص437)، ورد في الحديث:" قيل: لما أصيب عمر رضي الله عنه، جعل صهيب يقول: وا أخاه! فقال عمر :أما عَلِمتَ أن النبي – صلي الله عليه وسلم– قال : " إنّ الميَّت ليُعذّب ببُكاء الحيِّ؟"(البخاري،ح129،ص227).

في كلمة : " الميِّت" حدث إدغام للواو في الياء إذ أصلها : (مَيْوت) ، والقاعدة الصرفية أنه متي : " ما اجتمعت الواو والياء في كلمة ، وكانت الأولي منهما ساكنة قلبت الواو ياء ، وأدغمت في الياء "(ابن عقيل،ج4،ص183وابن يعيش،ج10،ص21و23) يحدث ذلك قياساً مطّرداً .

والعلة في ذلك؛ " لأنها شابهتها في اللين والاعتلال ؛ إلاّ أنّ الواو هي التي تقلب لجنس الياء تقدَّمت أو تأخرت؛ لأنَّ القصد بالإدغام التخفيف، والياء أخفُّ من الواو... وكذلك لقرب المخارج حيث أن الواو من الشَّفة والياء من حروف الفم..."(ابن عصفور،ج2،ص437،وابن يعيش،463).

أما عن وزنه فقد اختلف فيه العلماء، قال ابن يعيش: " ذهب المحققون من أهل العلم إلي أن أصله: (مَيْوِت) على زنة: (فْيِعل)، وذهب البغداديون إلي أنه: (فَيْعِل) قل إلي:(فْيِعل بكسرها...)(ابن يعيش،ص464)، والصحيح ، علي :(فَيْعل)، قال الشاعر:

لـيسَ مَـنْ مَـاتَ ، فَاسْـتَرَاحَ ، بِمَيْـتٍ إنَّمـا الـمَيْـتُ مَيِّـتُ الأحْيَـاءِ(ابن يعيش،ج10،ص69،وابن يعيش466،وابن جني،ص300).

بالحذف والإدغام، مما يدل على أن التخفيف بالحذف لغة من يزنه على: (يفْعل)، بالكسر، حيث أن الفتح: (فْيَعل) يستدعى أن يكون (مَيَّتٌ) وليس: (مَيِّت)، إذ لا علة لنقلها من: (فْيَعل) إلى: (فْيِعل). أما ما جاء في قوله تعالى: (أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ ...) (الأنعام: 122) بالتخفيف، ثم في موضع آخر قوله تعالى:(إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ) (الزمر: 30). بالإدغام فلا يدل على أنها لغة واحدة لقبيلة واحدة؛ "لأن القرآن قد جاء بلغات مختلفة وكلها فصيحة"(ابن جني،ص 300).

ومن الشواهد كذلك ما جاء في الحديث: "عن عائشة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان إذا رأى المطر قال: "اللهمَّ صيِّباً نافعاً "(البخاري،ح1032،ص182).

(صيِّب) على (فْيِعل) كـ (سيِّد) و (ميِّت)، أصلها: (صَيْوِب)، قلبت الواو ياء لاجتماعها وأحد الحرفين ساكنٌ وهو قياس مطرد، تقدم الواو أو تأخرت ثم أدغمت في الياء – كما تقدم – و "الصيِّب المطر الذي يصوب أو ينزل من قولك: صاب يصوب صوباً إذا انحدر ..."(ابن منظور،ج8،ص300).

هذه بعض الشواهد التي جاء فيها الإبدال ثم الإدغام.

ومما تقدم من إدغام للمتقاربين بكل أنواعه– وإن اقتصرنا على بعض منها – يرى كثيٌر من العلماء أنَّ ذلك لا يتحقق إلا بعد تماثلهما وتسكين المدغم ،إذ هو في تصوّر القدماء و المحدثين يعدُّ نوعا من المماثلة، فالحرفان المتقاربان لا يدغمان إلا بعد:" جعلهما متماثلين؛ لأنَّ إخراج الحرفين من مخرج واحد دفعة واحدة باعتماد تام ولا يمكن إخراج المتقاربين من مخرج واحد؛ لان لكل حرف مخرجاً علي حده "(الرضي،ج3،ص253و264)، نصَّ علي ذلك الرضي في شرحه لما بينه ابن الحاجب من الصرفيين القدامي.

تأكيداً علي ذلك ما ذهبت إليه آراء المحدثين؛ إذ جاءت متفقة مع آراء من سبقهم من علماء التصريف ، فيعدُّ كذلك نوعاً من المماثلة(الجندي،1983م،ج1،ص292).

3/ الإدغام في تاء الافتعال:

يتأثر هذا النوع من الإدغام، بالنوعين السابقين، حيث أنه يتعرض لإدغام المتماثلين في صيغة: (افتعل)، وإدغام المتقاربين على النحو الآتي:

أ/ إدغام المتماثلين:

ويتم ذلك في المضعف المبنى على افتعل حيث يلتقي الحرفان المتماثلان في عين ولام الصيغة، فيدغمان، بغرض التخفيف. إدغاماً واجباً .

ومن شواهد الصحيح على إدغام المتماثلين في صيغة: (افتعل) ما جاء في الحديث: "عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " اشتدَّ غَضَبُ اللهِ على قوم فعلوا بنبيِّه يَـشِيرُ إلى رَبَاعِيَتِهِ – اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ على رَجُلٍ يَقتلُهُ رسولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – في سبيلِ اللهِ"(البخاري،ح4073،ص718).

الفعل: (اشتدَّ) بإدغام المجهورين، حرفا: (الدال) على (افتعل) من الشدَّ:والأصل "اشتَدَد". ومثاله كذلك ما ورد: "عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "احتجّ آدم وموسى ..."(البخاري،ح6614،ص1171).

(احتجّ) على (افتعل) بإدغام المثلين المتحركين صوتا الجيم، وأصله: (احتَجَج) أي غلبه بالحُجَّة. جاء في اللسان: "احتجّ بالشيء: اتّخذه حُجَّة ..."(ابن منظور،ج4، ص38)، وشواهد هذا النوع في الحديث في الصحيح كثيرة.

ب/ إدغام المتقاربين:

ويحدث هذا النوع في صيغة (افتعل) متأثراً ببعض الأصوات بمعنى أنه متوقف على بيان مخارج الحروف وسنكتفي بذكر بعضها بما ورد من شواهد في الصحيح، ومنها:

التأثر بالجهر مع حرفي: الدال والذال:

ورد في حديثه – صلى الله عليه وسلم – عن النفر من الأنصار الذين سألوه فأعطاهم حتى نفذ ما عنده، وذلك: "عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه ... قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " ما يكُونُ عِندِي من خيرٍ فلن أَدَّخِرَه عنكم ..."(البخاري،ح1469،ص260).

(ادّخر)، علي (افتعل) بالدال والإدغام ، وأصله : (اذتخر) من: الذخر: قال الجوهري :" وقد ذَخَرت الشيء أَذْخُرُه ذَخْراً ، وكذلك ادّخَرْته ، وهو :(افْتَعَلْتُ)(الجوهري،ج2،ص662). حدث فيه إبدال وإدغام.

فأبدلوا من مخرج (التاء)حرفاً مجهوراً أشبه بالذال في جهرها، فصارت (اذْتخَر)، ثم أُدغمت الذال في الدال فصار (ادّخر)، هكذا:

اذتخر: (افتعل) ← ت ← د ← اذدخر ← ذ+د=د ← ادّخر

وقد ذكر ابن جني أن: "التاء تقلب دالاً لوقوع الذال قبلها، وأجريت الذال لقربها من الدال بالجهر مجرى الدال، فأُوثر الإدغام؛ لتضام الحرفين في الجهر فأدغم"(ابن جني،ج2،ص142).

كما جاء في الحديث: "عن سلمة بن الأكوع قال: قال النبي – صلى الله عليه وسلم – " مَنْ ضَحَّى منكم فلا يُصْبِحَنَّ بعد ثالثة وفي بيته منه شيء" فلما كان العام المقبل، قالوا: يا رسول الله نفعلُ كما فَعَلنا العام الماضي؟ قال: " كُلُوا وأَطْعِموا وادّخِرُوا، فإنّ ذلك العَام كان بالناسِ جهْدٌ فأَرَدْتُ أن تُعِينُوا فيه"(البخاري،ح5569،ص1016).

قال ابن حجر: "قوله: (ادّخروا) بالمهملة، وأصله من ذخر بالمعجمة دخلت عليها تاء الافتعال ثم أُدغمت" – كما وضحنا – (ابن حجر،ج10،ص33).

وورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: (..وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ ...)(آل عمران:49). قال أبو حيّان: "قرأ الجمهور (تدّخرون) بالإدغام بدال مشددة بالإبدال والإدغام، كما قرئ الفعل بالإظهار: (تذدخرون)، وقراءة الجمهور بالإدغام أجود، ويجوز جعل الدال ذالاً، والإدغام فتقول : اذّخر ، بالذال المعجمة المشددة."(أبو حيان،ج3،ص167) لما فيه من التخفيف.

التأثر بالإطباق، مع حرف الطاء:

كالفعل (اطّلع) في الحديث: "عن عمران عن النبيِّ – صلى الله عليه وسلم – قال: اطَّلَعْتُ في الجَنَّةِ فرأيتُ أكْثَرَ أهلِها الفُقراء، واطَّلَعْتُ في النار فرأيتُ أكثَرَ أهلِها النِّساء"(البخاري،ح3241،ص576).

(اطلعت) على (افتعلت) وأصله (اطتلعت)، تأثرت تاء (افتعل) بقوة الإطباق في الطاء، فتحولت إليها بتأثير المجاورة، ثم أدغمت الطاء الثانية في الأولى؛ لأن الفعل مبدوء بطاء هكذا:اطتلع (افتعل) ط+ت ط اطلع اطّلع

جاء في قوله تعالى(وَ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً)(الكهف:18)، وفي الأسماء ورد في الحديث: "عن ابن عباس: أنّ النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " أَبْغَضُ النّاس إلى اللهِ ثَلاَثَةٌ: مُلحِدٌ في الحَرَمِ، ومُبْتَغٍ في الإسْلامِ سُنَّةَ الجَاهِلِيَّةِ ومُطَّلِب دمِ امرئٍ بغير حقٍّ ليُهرِيق دَمه"(البخاري،ح6023،ص1216).

و (مُطَّلب) اسم فاعل من، (اطّلب)، أصله: (مُطْتَلب) على: (مُفْتَعِل)، اشتثقلت التاء؛ لوقوعها بعد الطاء فأبدلت: (طاء)، فاجتمع حرفان متماثلان فأدغما. حتى يخفَّ اللفظ، قال ابن حجر: "ومطَّلب بالتشديد (مُفتَعِل)من الطَّلب، فأبدلت التاء طاء وأدغمت"(ابن حجر،ج12).

وهي قاعدة تصريفية أجمع عليها علماء التصريف، كالرضي، الذي أشار إلى ذلك بقوله: "إذا كان فاء (افتعل) أحَدَ أحرف الإطباق وهي الصاد والضاد، والطاء، والظاء وجب إبدال التاء طاء "وتقلب بعد حروف الإطباق طاء فتدغم فيها وجوباً في الطَّلب"(الرضي،ج3،ص283).

إدغام تاء افتعل في: (الواو):

وفيه (الواو) هي (فاء): (افتعل) وما اشتق منها، ومن الشواهد على ذلك: " عن عدِيّ بن حاتم قال: ذكر النبي – صلى الله عليه وسلم – النَّار، فتعوّذ منها وأشاح بوجهه ... ثم قال:اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فإن لم يَجِدْ فبكلمةٍ طيِّبةٍ"(البخاري،ح6882،ص1081).

(اتَّقُوا) على: (افتعلوا) أصلها: (اوتقى) من الثلاثي المثال: (وقى)، ورد في اللسان: أن الفعل حدث فيه إعلال: بقلب الواو ياء، : "التاء بدل من الواو، والواو بدل من الياء"(ابن منظور،ج15،ص266–267)؛ وذلك لانكسار ما قبلها، وأبدلت من التاء وأدغمت؛ هكذا:

اوتقى (افتعل) و+ت=ت ← اتتقى ← اتّقى.

ويعدُّ ذلك إبدالاً مطّرداً، قال ابن يعيش: "تبدل التاء من الواو وإبدالاً مطّرداً إذا وقعت إحداهما فاء: (افتعل)"(ابن يعيش،ج10،ص36)، ومن أمثلة إبدال الياء، كما في: (تّسر) من : (يسر).

والسبب في هذا الإبدال كما أشار إليه سيبويه في (باب ما يلزمه بدلُ التاء من هذه الواوات التي تكون في موضع الفاء): "أن الواو تضعف هاهنا، فتبدل إذا كان قبلها كسرة ... فأبدلوا حرفاً أجلد منها ... إذ الواو في: (وقى) أقوى من: (افتعل)"(سيبويه،ج4،ص334).

فلم يشير هؤلاء إلى حدوث الإعلال بقلب الواو ياء، وإنما ذكروا قلب الواو مباشرة إلى (التاء) وهو حرف جلد أقوى منها، ولا يتغير بتغير أحوال ما قبله، كما حاولوا تلمس العلاقة الصوتية بين (الواو والياء) من جهة وبين (التاء) من جهة، فوجدوا أن: "مخرج التاء قريب من الواو، وفيه همس يناسب لين الواو والياء، ليوافق لفظه لفظ ما بعده، وهو التاء فيدغم فيها، ويقع النطق بها دفعة واحدة"(ابن يعيش،ص294-295،وابن جني،ج1،ص148)، وهذه اللغة أكثر وأقيس، ويعزوها ابن جني إلى أهل الحجاز(ابن جني،ج1،ص148)، وبها نزل القرآن، ولعله يريد أن أكثر القراءات القرآنية وردت بهذه اللغة؛ لأن القرآن نزل كذلك بلغة تميم.

إدغام تاء (افتعل) في الهمزة أو الياء أو التاء:

كالفعل (اتَّخذ) في الحديث: "عن ابن عباس قال: أما الذي قال رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم –: "لو كنت مُتَّخذاً من هذه الأمة خليلاً لاتَّخذتُه، ولكن خُلَّةُ الإسلام أفْضَلُ، أو قال: خَيِّر"(البخاري،ح6738،ص1193) – يعني أبابكر –

(تّخذت) على (افتعل)، اختلفت آراء علماء التصريف حول الأصل الاشتقاقي لهذا الفعل، هل هو: (تخذ) أم (أخذ) أوخذ، فجاءت آراءهم على النحو الآتي:

أولاً: أن التاء الأولى أصل وليست مبدلة. (ابن جني،ج2،ص287،والأشموني،ج3،ص872)، بمعنى أنه تائي الفاء مثل (تبع: يتبع) وبالتالي فإن الثانية زائدة في: (افتعل)، وعليه فإن مادته: (تخذ : يتخذ) على (فعِل: يفعِل).

وعند صياغته على: (افتعل) تدغم التاء الأولى في الثانية، وقال بعض العرب: "أن تخذ بمعنى: اتّخذ"(الأشموني،ج3،ص872). وعدّ صاحب اللسان: "(تخذ : يتخذ) بالتاء وَهْم"(ابن منظور،ج1،ص64)، وينسب السيوطي: "تخذت ووخذت إلى الحجاز، واتخذ إلى تميم"(السيوطي،ج2،ص276)، واستشهدوا بقول الشاعر:

وقد تَخِذَتْ رِجْلي لَدَى جَنْبِ غَرْزِها ** نَسِيفاً كأفْحُوص القطاةِ المُطَرِّقِ(ابن جني،ج2،ص287)، والنسيف: أثر ركض الرجل بجنبي البعير إذا لخص عنه الوبر، الأفحوص:مبيت القطاة، المطرق: صفة للقطاة التي حان خروج بيضها.

معنى ذلك أن: (تخذ) لغة فصيحة وردت في أشعار العرب الذين لا شك في فصاحتهم، بل إنها لغة أهل الحجاز، والتي نزل بها القرآن، وجاءت عليها أكثر القراءات، كما في قوله تعالى: (قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً)(الكهف:77)، قرأ: "نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: (لتَّخذت) بالإدغام والتاء أصلية عند البصريين"(ابن الجزري،ج2،ص314،وأبو حيان،ج7،ص211)، فحدث كالآتي:

اتتخذ (افتعل) ← اتّخذ

ولا إبدال في ذلك.

ثانياً: أن الفعل (اتَّخذ) فاؤه واواً من الثلاثي: (وخذ) لهجة قليلة، ذكرها السيوطي:لأهل الحجاز(السيوطي،ج2،ص276)، فيحدث الإبدال كما في (اتقى)، بإبدال الواو تاء، قيل: "ذهب بعض المتأخرين إلى أن (اتَّخَذَ) مما أبدلت فاؤه تاء على الفُصحى؛ لأنّ فيه لغة وهي: (وَخَذ)بالواو، وهذه اللغة وإن كانت قليلة إلاّ أن بناءه عليها أحسن"(الأشموني،ج3،ص872)، ولعله عنى بالفصحى لغة أهل الحجاز. فيكون على النحو الآتي: أوتخذ (افتعل) :اتتخذ : اتَّخذ.حدث فيه إبدال وإدغام.

ثالثاً: أن الفعل (اتخذ) على (افتعل)، يرجع اشتقاقه إلى مادة: (أخذ)، مهموز الفاء، وهو الأصحّ في أغلب المعاجم، قيل: "اتخذ بهمزتين ائتخذ، ...والاتّخاذ:افعتال أيضاً من الأخذ إلاّ أنه أدغم بعد تليين الهمزة وإبدال التاء فلما كثر استعماله على (الافتعال) توهموا أن التاء أصلية فبنوا منه: (فعِل يفعَل) ..."(الجوهري،ج2،ص599،وابن منظور،ج1،ص64)، فحدث الإبدال هكذا:

ائتخذ (افتعل) ← ايتخذ ← ي+ت ← إتتخذ ← اتَّخذ ←

تخفيفاً أبدلوا من الهمزة (ياء) لسكونها وانكسار ما قبلها، فأصبح الفعل (ايتخذ).

وقد عدّ بعضهم هذا النوع من الإبدال شاذاً، قيل: "وشذّ إبدالها من فاء الافتعال إذا كانت همزة نحو: اتزر من الإزار، الفصيح: ائتزر"(السيوطي،ج3،ص437)، بمعنى أن الفصيح (ائتخذ) في لغة من يري أن الأصل (أخذ)، وإن كنت أميل إلى هذه اللغة، برغم ثقلها وصعوبة ذلك على اللسان؛إذ لا مبرر لقلب الهمزة (تاء) لبعدالمخارج، إلا أن يسبق ذلك إعلال بقلب الهمزة (ياء) ثم إبدال (الياء) تاء وإدغامها في تاء الافتعال، فالأوجه الثلاثة على اختلاف اشتقاقها، حدث فيها إدغام. وكله بغرض التخفيف.

ومن نتائج هذه الدراسة:

1-يتحقق التجانس الصوتي بالتحول عن الأصل في البنية الصرفية تحاشياً للثقل الناتج عن التطابق أو التقارب في المخارج.

2-تأثر الأصوات المتماثلة أو المتقاربة بعضها بالآخر يؤدى إلى الإدغام طلباً للخفة.

3-يحدث العدول عن الأصل بتجاور بعض الأحرف المتنافرة في صفاتها في الكلمة.

4- تسهم هذه التحولات والتغيرات في بنية الكلمة في زيادة المفردات العربية فيكسبها المرونة والسعة.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1/ الأزهري، خالد بن عبد الله، ت(905هـ)، شرح التصريح على التوضيح،ط1(1421هـ/2000م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

2/ الأشموني:أبو الحسن علي نور الدين بن محمد بن عيسى،ت (929هـ)، شرح الأشموني على ألفية بن مالك، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد – ط1 (دار الكتاب العربي)– بيروت (1375هـ/1955م).

3/ الأنباري: أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن سعيد، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين– ط1 (المكتبة العصرية)– بيروت (1424هـ/2003م).

4/ البخاري: أبوعبد الله محمد بن إسماعيل، ت (256هـ)، صحيح البخاري – دار صادر – بيروت – دون (ط.ت).

5/ البكوش: الطيب – التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث – تقديم: صالح القرمادي – ط3 (المطبعة العربية) – تونس (1992م).

6/ البناء: أحمد بن محمد بن أحمد الدمياطي – إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر – صححه وعلق عليه: علي محمد الضباع – دار الندوة الجديدة – بيروت – دون (ط.ت).

7/ ابن الجزري: أبوالخير محمد بن محمد الدمشقي، ت (833هـ) – النشر في القراءات العشر، مراجعة: علي محمد الضباع – دار الكتب العلمية – بيروت – دون (ط.ت).

8/ الجندي: أحمد علم الدين – اللهجات العربية في التراث – الدار العربية للكتاب – طرابلس – ليبيا (1983م) – دون (ط).

9/ ابـن جنّـي: أبـوالفتح عثمـان، ت (392هـ): أ/ الخصـائص – تحقيـق: الشـربيني شـريدة– دار الحـديث – القـاهرة (1428هـ/2007م) – دون (ط).

ب/ سر صناعة الإعراب – دراسة وتحقيق: حسن هنداوي – ط2 (دار القلم) – دمشق (1413هـ/1993م).

ج/ المنصف شرح تصريف المازني – تحقيق: محمد عبدالقادر أحمد عطا – ط1 (دار الكتب العلمية) – بيروت (1419هـ/1999م) – طبعة وزارة الإرشاد القومي – القاهرة (1960م).

10/ الجوهري: إسماعيل بن حماد – الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) – تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار – ط1 (دار العلم للملايين) – بيروت (1376هـ/1956م).

11/ ابن حجر: أحمد بن عمر العسقلاني، ت (852هـ) – فتح الباري شرح صحيح البخاري – تحقيق: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز – ط3 (مكتبة دار السلام) – الرياض، ودار الفيحاء – دمشق (1421هـ/2000م).

12/ الحملاوي: الشيخ أحمد بن محمد، ت (1315هـ) – شذا العرف في فن الصرف –علق عليه: محمد بن عبدالمعطي – دار الكيان – الرياض – دون (ط.ت).

13/ أبو حيان، محمد بن يوسف، ت (745هـ). أ/ ارتشاف الضرب من لسان العرب – تحقيق: مصطفى أحمد النحاس – ط1.

ب/ التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط – تحقيق: صدقي محمد جميل – (دار الفكر) – بيروت (1420هـ) وط1(1993م).

14/ الزبيدي:محمد مرتضى– تاج العروس من جواهر القاموس– ط1 (المطبعة الخيرية)– القاهرة (1306هـ).

15/ سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر، ت (180هـ) – الكتاب – تحقيق: عبدالسلام محمد هارون – ط1 (دار الكتب العلمية) – بيروت (1420هـ/1995م).

16/ السيرافي،أبو سعيد – شرح كتاب سيبويه: تحقيق: سيف الدين عبدالرحمن العريفي – ط1 (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية) – الرياض – (1429هـ/2008م).

17/ ابن سيده: أبوالحسن علي بن إسماعيل ، ت (458هـ) – المخصص – ط1 (المطبعة الكبرى الأميرية) – بولاق – مصر (1320هـ).

18/ السيوطي: أبوالفضل جلال الدين بن عبدالرحمن بن أبي بكر، ت (911هـ):

أ/ المزهر في علوم اللغة وأنواعها – شرح وضبط: محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي ومحمد أبوالفضل – دار الجيل – بيروت – دون (ط.ت).

ب/ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع – تحقيق: أحمد شمس الدين – ط1 (دار الكتب العلمية) – بيروت (1418هـ/1998م).

19/ شعبان صلاح، الإعلال والإبدال في الكلمة العربية – جامعة القاهرة، (1983م). 20/عبد الحميد السيِّد، المغني في علم الصَّرف، ط1(دار صفاء)، عمان، (2010م/1431هـ).

21/ ابن عصفور: أبو الحسن علي بن مؤمن الأشبيلي، ت (669هـ) – الممتع الكبير في التصريف – تحقيق: فخرالدين قباوة – ط1 (مكتبة لبنان ناشرون) – بيروت (1996م). 22/ عضيمة: محمد عبدالخالق – المغني في تصريف الأفعال – دار الحديث – القاهرة (1426هـ/2005م).

23/ ابن عقيل: أبو عبدالرحمن عبدالله بهاء الدين بن عبدالرحمن، ت (769هـ) – شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك – تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد – ط (دار التراث) – القاهرة (1426هـ/2005م).

24/ لطيفة إبراهيم النَّجار، دور البنية الصَّرفية في وصف الظاهرة النَّحوية وتقعيدها، ط1، دار البشير، عمان، الأردن،(1414هـ/1994م).

25/ المبرد: أبو العباس محمد، ت (285هـ)،المقتضب، تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية –القاهرة (1963م) – دون (ط).

26/ ابن منظور: جمال الدين بن مكرم الأفريقي – لسان العرب – ط1 (دار صادر) – بيروت (2000م).

27/ ابن يعيش: أبو البقاء موفق الدين بن علي: أ/ شرح المفصل – إدارة المطبعة الأميرية – مصر – دون (ط.ت).

ب/ شرح الملوكي في التصريف – تحقيق: فخرالدين قباوة – ط1 (المكتبة العربية) – حلب (1393هـ/1973م).